المحاضرة رقم 08 مقاومة الشيخ بوعمامة 1889-1908:

لمحة مختصرة عن الشيخ بوعمامة: وهو الشيخ محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن سيدي محمد بن ابراهيم ابن التاج والمشهور بأبي عمامة، لكونه يضع عمامة على رأسه، وهو من أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر بن محمد، ينتمي الفرع الغربي لأولاد سيدي الشيخ . حيث ولد ببلدة المغربية بالقرب من الحدود الجزائرية حيث تعلم القرآن ومن التصوف انتقل عام 1875 للإقامة في حنوب شرقي عين الصفراء،وأقام بها زاوية لتعلهم الناس وحثهم على جهاد الغزاة الفرنسيين فراسل القبائل وطلب الإستعداد للثورة .و تعتبر ثورة الشيخ بوعمامة من أطول الثورات الجزائرية التي اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي، إذ دامت قرابة ربع قرن، من أفريل 1881 إلى غاية 07 أكتوبر 1908. ويعود نشاط بوعمامة بالزاوية التي أسسها في مغرار التحتاني إلى سنة 1876 ، هذا ما شد انتباه السلطات الاستعمارية، وخاصة سنة 1880،إذ أن بعض التقارير كانت تتحدث عن شعبيته والتفاف القبائل الصحراوية حول زاويته، وخاصة قبائل رزينة، وحميان وترافى، وهذا بعد الدعوة التي تلقوها من الشيخ بوعمامة التي يدعوهم فيها للخروج عن سلطة فرنسا وضرورة اعلان الجهاد ضدها. العوامل المساهمة في تفجير الثورة .

ويمكن إجمال عوامل التي سرعت في تفجير الثورة فيما يلي:

- عزمت الحكومة الف رنسية على إقامة مركز عسكري للمراقبة بجوار مقر زاوية بوعمامة.
- الحالة الاقتصادية والاجتماعية المزرية وانتشار المجاعة في أوساط الجزائريين .
- استياء وتذمر القبائل الصحراوية، خاصة قبائل آفلو والبيض التي منعت من التنقل بمواشيها إلى الجنوب خلال موسم الترحال في فصلي شتاء 1880 - 1879 و 1881 - 1880 ، مما أدى إلى موت مواشيها بأعداد كبيرة من شدة البرودة السائدة بتلك المنطقة.
- استغل الشيخ بوعمامة تحول جزء كبير من الجيش الفرنسي المرابط في الناحية الوهرانية إلى تونس لاحتلالها سنة 1881لإعلان الجهاد، كما تأثر الشيخ بوعمامة بالدعوة السنوسية بعد احتكاكه بمقدم هذه الطريقة" الحاج المهدي ولد باجودة في عين صالح، والتي كانت تهد هذه الدعوة إلى مقاومة الاستعمار الأوروبي للبلاد الاسلامية.
- أما السبب المباشر لهذه الثورة فتمثل في مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول وهو **" وانبيرونر** "نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض يوم 1881 - 04 - 22 مع أربع صبايحية من حراسه حينما حاول إيقا نشاط بوعمامة واعتقال مبعوثيه لدى الجرامنة 30 (كيلومتر شرق البيض)، وهما :الطيب الجرماني ومرزوق بن السرور. ويمكن تقسيم هذه الثورة إلى فترات، وتمتد الفترة الأولى من 22 أفريل 1881 إلى غاية 02 أفريل 1882 ، ويمكن القول بأنها فترة النضال العسكري، إذ خاض عدة معارك مع جيش العدو أهمها" **معركة مولاق** "يوم 19- 05 – 1881م،انتصر فيها بوعمامة . وقام المجاهدون بقتل رئيس المكتب العربي الفرنسي، وهاجموا مزارع المعمرين وخربوا المؤسسات الإقتصادية.

المرحلة الأولى: امتازت هذه الفترة بانتصار الشيخ بوعمامة الأمر الذي أدى إلى انضمام العديد من القبائل إلى ثورته كقبائل الأغواط، وأمام تزايد عدد قوات العدو انسحب الشيخ بوعمامة متجها إلى منطقة فيقيق داخل المغرب الأقصى، فقل نشاطه وتشتت أتباعه وأنصاره، وانقسموا إلى ثلاث أقسام :قسم انضم إلى قوات سي قدور بن حمزة (رئيس أولاد سيدي الشيخ الشراقة) والبعض الآخر انضم تحت قيادة سي سليمان الغرابة، وقسم انسحب مع الشيخ بوعمامة، الذي بقي مرابطا بمنطقة فيقيق ونواحيها، إذ قام بالهجوم على البعثة العلمية الفرنسية يوم 01 04 1882، وتكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد .وهنا استمالت فرنسا سي قدور بن حمزة لإقناع كل العائلة الموجودة في المغرب بالعودة إلى الجزائر، وبالفعل رجع العديد منهم . ومع ذلك خاض الشيخ بوعمامة عدة معارك ضد الجيش وتمكن من هزيمتهم في معركة فرندة وأجبرهم على الإنسحاب إلى مدينة عين الصفرا

،وكذلك معركة الشلالة واتسعت الحرب وامتدت إلى نواحي تيارت وسعيدة عين صالح ،وجندت بالمقابل للقوات الفرنسية قواتها لكنها لم تتمكن من القضاء عليه،فعرضت عليه مفاوضات سلم إلا أنه رفض ذلك واستمر في الكفاح إلى غاية1883 أين وضع العديد من أنصاره السلاح وبقيت رغم ذلك المناوبات وفي سنة 1908 رحل بوعمامة إلى المغرب واستقر هنا وأسس زاوية وعاش بها .

المرحلة الثانية:تبدأ من ماي 1883 إلى غاية سنة 1908 ، وقد غلب عليها الطابع السياسي، إذ أن السلطات الفرنسية قد تخوفت من قوة الشيخ بوعمامة، مما اضطرها إلى محاولة عقد اتفاق معه سنة 1888 وفي سنة 1893 لكن دون جدوى، ثم منحته الأمان التام وبدون أي شرط أو قيد سنة 1899 ، لكنها لم تجد صدى لذلك، فقررت مهاجمته سنة 1903، فغير الشيخ بوعمامة وجهته من الصحراء إلى المغرب الأقصى، لينضم إلى ثورة الجيلالي الروفي الزرهوني الملقب ببوحمارة، ثم إلتجأ أخيرا إلى ضواحي وجدة بزاوية بوردين قرب عين سيدي ملوك أين وافته المنية يوم 07 - 10 1908، وبوفاته انتهت ثورته .

ويرجع فشل هذه المقاومة إلى عدم إتحاد فرعي أولا سيدي الشيخ، وكثرة الخونة المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية، وكذا الضغوط التي مارستها الحكومة المغربية على المجاهدين وحاصرتهم في الحدود، ضف إلى تعرض الجزائريين الموالين للثورة إلى التنكيل من طرد السلطات الإستعمارية، دون أن ننسى تزامن المقاومة مع الغزو الأوربي لكل من تونس ومصر والسودان والمغرب وبالتاي تضامن الشعوب العربية مع هذا الشعوب متناسية تضامنها مع مقاومة الشيخ بوعمامة، كما ساعد اتمام مشاريع السكة الحديدية في المنطقة وربط الشمال الغربي الجزائري بجنوبه القوات الفرنسية بالتحرك في التدخلات نحو الجنوب ونجدته وتدعيم الحاميات المزروعة هنا وهناك.

وفي الأخير ومن خلال ما ذكرناه عن المقاومات الشعبية في الجزائر خلال الإستعمار الفرنسي يمكننا استنتاج ما يلي: - كان الشعب الجزائري رافضا المحتل الفرنسي منذ البداية .

- كانت هذه المقاومات عبارة عن استجابة تلقائية للدعوة التي كان يوجهها رجال الدين أو زعماء القبائل للدفاع عن الدين والمقدسات الإسلامية.

- كان ضيق الرقعة الجغرافية لبعض المقاومات قد سهل مهمة الجيش الفرنسي في تطويق المنطقة والقضاء على المقاومة فيها ،خاصة وأن هذه المقاومات كان ينقصها التنسيق فيما بينها، باستثناء محاولة الأمير عبد القادر التنسيق مع مقاومة أحمد باي الذي رفض الأمر.